2026 كانون 2 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 12
January 2026 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 12
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

المديح بين ابن هانئ الاندلسي وابن درّاج القسطلي -مقارنة في التراكيب اللغوية (الاستفهام – النداء – النفي)

م. م احمد حاتم علي
م. م صالح سعد مخلف
Jaseerahmed00@gmail.com

ملخص البحث

جاءَ الشعرُ الأندلسي تعبيراً عن الحياة في الأندلس وخصوصيتها وكما هو متعارف فالشاعر ابن بيئته فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الناس الاجتماعية والثقافية، حيث برز الشعراء الاندلسيين في نظم القصائد في مختلف الاغراض الشعرية. وكانت فكرة اختيار موضوع البحث والتقصي عن المديح في الشعر الاندلسي - فوقع اختيار الموضوع بعد التفحص والدراسة: (المديح بين شعر ابن هانئ الاندلسي وابن دراج القسطلي)

مقارنة في التراكيب اللغوية (الاستفهام - النداء - النفي)وعلى هذا الأساس توزعت دراستي للبحث على ثلاثة محاور: الاول: سبق بملخص ومقدمة وتناولت فيه معنى المدح لغة واصطلاحاً ونبذة عن الشعر الاندلسي ونشأته ومميزاته والغرض الشعري في بناء القصيدة. في حين تمثل المحور الثاني اضاءة في مديح ابن هانئ الأندلسي وابن دراج القسطلي.اما المحور الثالث فقد صب محتواه في النص الشعري والأسلوب عن المستوى التركيبي في شعر ابن هانئ الأندلسي وابن دراج القسطلي والذي بحث عن التراكيب النحوية (الاستفهام - النداء - النفي) والتي تبين الكشف عن مستوى الأداء الفني لهما وللتعرف على ابداع الشاعر وحذقه وقد توصلت دراسة البحث الى : جاء الشعر الأندلسي تعبيراً عن الحياة في الاندلس فالشاعر ابن بيئته ولأن الطبيعة التي حباها الله عزَّ وجل لتلك البلاد واسهمت في قدح القريحة الشعرية مانحة اياهم اجل المعاني واروع تصوير فالمعاني تتسم بالجدَّة وخلوها من المبالغة وتميز الالفاظ بالسهولة والوضوح. فالشعراء الأندلس ساروا على سنن الأقدمين لبناء القصيدة وتقاليدها فنظم الشعراء الأندلسيين في مختلف الأغراض الشعرية، فحافظ المديح في أسلوبه عن طريق وصف الصفات التقليدية للممدوح والتركيز على انتصاراته ونجد نجاح الشاعرين ابن هانئ الأندلسي وابن درَّاج القسطلي في توظيف التراكيب اللغوية وهي تحمل طابع جميل وصور فنية مستمدة من البيئة الأندلسية وهي تحدث تأثيراً في ذهن المتلقي حيث التراكيب النحوية (الاستفهام - النداء - والنفي) سجلت حضوراً عند الشاعرين حيث وظفا هذه التراكيب في خدمة اغراضهم الشعرية وهي تحتفي بالصور الفنية المنسجمة بأسلوب واضح وجميل، وان دراسة هذه التراكيب هي اثبات كفاءة الشاعر وحذقهِ.

الكلمات المفتاحية: المديح، ابن هاني الاندلسي، ابن دراج القسطلي.

Praise Poetry between Ibn Hani' al-Andalusi and Ibn Darraj al-Qastali: A Comparison of Linguistic Structures (Interrogation, Vocative, Negation)

A. L. Ahmad Hatem Ali
A. L. Saleh Saad Mukhlif

Andalusian poetry was an expression of life in Andalusia and its uniqueness. As is well known, the poet is a product of his environment, closely connected to the social and cultural lives of the people. Andalusian poets excelled in composing poems in various poetic genres.The idea behind choosing the research topic was to investigate praise in Andalusian poetry. The topic was chosen after careful examination and study:(Praise in the Poetry of Ibn Hani' al-Andalusi and Ibn Darraj al-Qastali) A comparison of linguistic structures (interrogative, vocative, and negative). Based on this, my study was divided into three axes: The first was preceded by a summary and introduction, which addressed the meaning of praise linguistically and technically, a brief overview of Andalusian poetry, its origins, its characteristics, and the poetic purpose of constructing the poem.The second axis sheds light on the praise of Ibn Hani' al-Andalusi and Ibn Darraj al-Qastali. The third axis focused on the poetic text and style, examining the structural level in the poetry of Ibn Hani' al-Andalusi and Ibn Darraj al-Qastali. It explored grammatical structures (interrogative, vocative, and negative), revealing their level of artistic performance and identifying the poet's creativity and skill. The research study concluded that: Andalusian poetry was an expression of life in Andalusia. The poet is a product of his environment, and because nature, with which God Almighty has blessed that country, contributed to sparking poetic talent, granting them the most sublime meanings and the most wonderful imagery. The meanings are

characterized by novelty and lack of exaggeration, and the words are distinguished by ease and clarity. The Andalusian poets followed the traditions of the ancients in constructing the poem and its traditions. The Andalusian poets composed in various poetic purposes. Praise was preserved in its style by describing the traditional qualities of the praised one and focusing on his victories. We find the success of the poets Ibn Hani Al-Andalusi and Ibn Darraj Al-Qastali in employing linguistic structures that carry a beautiful character and artistic images derived from the Andalusian environment. They create an impact on the mind of the recipient, as the grammatical structures (interrogation - vocative - and negation) recorded a presence in the two poets, as they employed these structures in the service of their poetic purposes, and they celebrate harmonious artistic images in a clear and beautiful style. The study of these structures is proof of the poet's competence and skill.

Keywords: Praise, Ibn Hani al-Andalusi, Ibn Darraj al-Qastali

المقدمة:

ان للعرب في الفتوحات وحروب التحرير ونشر دين العدل والحق والمساواة تاريخ طويل، ابتدأ منذ الوهلة الأولى للدعوة الإسلامية وكان الهم الأكبر للمسلمين هو ايصال هذا الدين إلى أبعد نقطة في الأرض فتحررت على ايديهم البلاد حتى وصلوا إلى شبه جزيرة في البلاد فتمكنوا من فتحها وأسموها (الأندلس). [1]

حيثُ ارتفعت فيها كلمة (الله اكبر) على يد القائد طارق بن زياد حين قال قولته المشهورة عندما خطب في جيشه فقال: [2]

(ايها الناس البحر من امامكم والعدو من ورائكم فأين المفر !)

إذْ استطاع العرب الفاتحون من ارساء بنية قوية قامت على اساسها أول دولة عربية اسلامية في القارة الأوربية، وأن الطبيعة التي حباها الله سبحانه وتعالى لتلك البلاد أسهمت في قدح القريحة الشعرية مانحة اياهم أجل المعاني واروع قصائد التصوير حيث رسموا في شعرهم كُل شيء وقع عليه نظرهم ومرَّ بخاطرهم [3]

فكان الشعراء الأندلسيين يعنون بالاستهلال وحسن التخلص وجعل صدور مدائحهم وصفاً للطبيعة أو البلد الذي عاش فيه الشاعر أو المرأة التي أحبها ، فنجد بناء القصيدة يختلف من شاعر إلى شاعر آخر فمنهم من يبني قصيدته على موضوع المدح فقط من غير مقدمات ومنهم يستهلها بوصف الغزل او الطبيعة او البكاء على الديار حيث ساعدت البيئة الاندلسية في ظهور هذا الشعر لأنه يمثل المظهر الثقافي والمهم في ادب العرب وثقافته العربية ، والملاحظ في شعر المديح الاندلسي ان اغلبه موجه بالدرجة الأولى الى الملوك والامراء هذا من جهة ومن حيث المضمون يمكن ان نرى فيه جانبين :

الأول: التركيز على الصفات التقليدية للممدوح كالمرؤة والشجاعة والوفاء والكرم وكل ما يحب العربي سماعه من خصال حميدةٍ.

اما الجانب الاخر: فهو التركيز على انتصارات الممدوح والتي هي نصر للإسلام ثم وصف المعارك والجيوش.

فأن الشعراء الاندلسيين في مدائحهم من حيثُ الالفاظ يحشدون لها الالفاظ الجزلة مع التوفيق بين أساليب التراكيب اللغوية بالجزالة والفخامة والرقة والسهولة والتأنق في الصياغة الفنية للألفاظ فيمنحها بذلك عناية كبيرة.

المدح لغة واصطلاحاً:

(3) ينظر : قصة الأدب في الأندلس : محمد عبد المنعم خفاجة : ص ٥٨.

المدحُ نقيض الهجاء وهو حسن الثناء ، يقال : مدحتُهُ مدحةً واحدةً، والمدحةُ الاسم والجمعُ مدحُ وهو المديحُ والمدائح والأماديحُ [1]. ويقال: فلان يتمدح إذا يُقرظ نفسه ويثني عليها [2]. والعرب تتمدح بالسخاء وهو يتمدح إلى الناس أي يطلب مدحهم [3]. فالمدح هو الثناء الجميل ووصف محاسن الممدوح بالكلام الحسن [4]. والمدح من الأغراض الشعرية القديمة إذْ عرفه الجرجاني صاحب كتاب التعريفات بقوله: (هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً) [5] وعن قول قدامة بن جعفر فإن المدح يتفرع عنه المراثي والافتخار والشكر [6].

وهو أيضاً: (تعداد لجميل المزايا ووصف للشمائل الكريمة وأظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا) [7].

الشعر الاندلسي ونشأتهُ:

يطلق مسمى الشعر الاندلسي على ذلك الفن الشعري المنبثق عن الحضارة الاندلسية اذْ ينفردُ الشعر الاندلسي بمجموعة من الخصائص اللفظية والمعنوية ولا سَّيما الفنون الشعرية كالوصف والرثاء والمديح ، فقد نظم الاندلسيون في جميع الشعر العربي وزادوا عليها بعض الفنون التي اقتضتها ظروف بيئتهم وأوضاع مجتمعهم.

إذْ بدأ ظهور الشعر الاندلسي في ظل ظروفٍ متباينة عن تلك التي في الشرق ، فكان لطبيعة البلاد وتنوعها دورٌ هام كما اسهم التكوين الثقافي للسكان في نشأته حيث تأثر الشعر الاندلسي بما ساد في المجتمع الاندلسي من سماحةٍ وتعايش بين سكانهِ.

ولعلهم كانوا مدفوعين الى ذلك بما فطروا عليه من محبة الشعر وبتكوينهم الثقافي المؤسس على علوم العربية وآدابها ثم لطبيعة الاندلس الجميلة [8].

وفنون الشعر الاندلسي التي قال الاندلسيون الشعر فيها قسمها الباحثين الى ثلاث مجموعات:

الأولى: الفنون التقليدية التي جادوا فيها شعراء المشرق وهذه الفنون هي

(الغزل ، المديح ، الرثاء ، الهجاء ، الحكمة ، الزهد)

الثانية: مجموعة الفنون التي توسعوا بالقول فيها وتتمثل هذه الفنون في

(شعر الطبيعة ، شعر الحنين ، ورثاء المدن والممالك)

الثالثة: مجموعة الفنون الشعرية التي استحدثوها وهي:

(الموشحات ، الازجال ، والاستنجاد)

خصائص ومميزات الشعر الأندلسي:

تأثر الشعر الأندلسي بشكل كبير بالشعر العباسي والاسلامي من بين شعراء المشرق وظهر ذلك بتشابه الخصائص بين شعراء الأندلس والمشرق العربي ويعود السبب في ذلك، إلى انتشار التقليد في غالبية الأمر وقد بلغ الأمر حمل شعراء الأندلس لألقاب شعراء المشرق .

(1) لسان العرب لابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ) : مادة (مدح).
(2) تهذيب اللغة : للأزهري أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) : ج ٢ / ص77.
(3) ينظر : اساس البلاغة : للزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر : ص ٣٢٤
(4) ينظر : معجم مقايس اللغة: للقزويني أحمد بن فارس : ج5 /ص ٣٠٨.
(1) التعريفات للجرجاني ، علي بن محمد المعروف بالسيد الشريف (ت ٨١٦) : ص ٢٨٦ .
(2) ينظر : نقد الشعر : قدامة بن جعفر : ص ٨١.
(3) المعجم الأدبي ، جبور عبد النور : ص245.
(4)ينظر: الادب العربي في الاندلس : الدكتور عبدالعزيز عتيق : 167-168.

اذ تميز الشعر الأندلسي بارتباطه بالواقع والتعبير عن ذاتية صاحبه ويُعزى ذلك إلى تأثير البيئة الاندلسية على الشعر. فسهولة الالفاظ ورقتها وخلوها من الغرابة مع ترابط الافكار ووضوح المعاني الغريبة المبهمة. وخلو المعاني من المبالغة إذْ ينفرد الشاعر الأندلسي بالابتكار واستحداث أفكار جديدة وإبداعه بالتصوير والتخيل وكثرة استخدام البحور الطويلة والخفيفة القصيرة في الشعر الأندلسي نظراً لتماشيها مع طبيعة الحياة السائدة فحملت ابياتهم الشعرية تشبيها واستعارات دقيقة لتخرج بأحسن صورة فنية لكي تصل إلى المتلقي.

إذْ يعتبر الوضوح والبساطة من أكثر ما تميز به الشعر الاندلسي والتلميح إلى الأحداث والوقائع التاريخية.

أما فيما يتعلق بتراكيب الأبيات الشعرية فتمتاز الفاظها أيضاً بالوضوح والسهولة ورقة الأسلوب والاهتمام بالصنعة اللفظية.

ومن المتعارف عليه فقد التزم الشعر الأندلسي كُلَّ الالتزام بوحدة الأوزان والقوافي في بداية ظهوره ومع مرور الوقت بدأ الشعراء الأندلسيين بابتداع ما هو كل جديد من الأوزان المستحدثة.

ويشار إلى أن الشعر الأندلسي بقي في بداية الأمر محافظاً على اقتفاء آثار الشرق مع النسج على المنوال نفسه نظراً لما يتحلى به من مكانةٍ مرموقة في قلب الأندلسيين كونها موطناً للحضارة ومهد للفكر العربي.

الغرض الشعري وبناء القصيدة

نظم شعراء الأندلس في مختلف الأغراض الشعرية ومن هذه الأغراض (المديح والرثاء والهجاء والحكمة والزهد) إذْ كانت مدائح شعراء الأندلس محافظة على صورتها القديمة إذ اعتنوا بالاستهلال وحسن التخلص . فقد كانت مدائحهم وصفاً للطبيعة ووصف الناقة وحب المرأة والوقوف على الأطلال في حين تفجع الأندلسيون على رثاء الميت ووصف المناقب وشدة وقع المصيبة حيث استهلوا مراثيهم بالحكم وكان رثاؤهم للممالك أكثر.

أما الهجاء لمْ يحظَ في الأندلس بالاهتمام وخاصة الهجاء السياسي إذ كان الهجاء عندهم للتكسب بينما بدت الحكمة لدى شعراء الأندلس ساذجة وذلك لأنهم لم يخوضوا حياة التأمل حتى ظهرت الفلسفة في عصر النهضة والتأليف.

و بدافع تقليدي نظم الشعراء في الزهد ابتعاداً من كثرة الحروب وتقلب الأحوال التي أثرت في نفوس الشعراء.

فأن غرض المديح واحد من أهم وأكثر الأغراض الشعرية قولاً منذ أقدم العصور التي جرى فيها الشعر على لسان العرب فنجد الغرض الشعري قَدْ مرَّ بمراحل أوصلتهُ إلى الشكل الذي نراه الآن، ففي المراحل الأولى كان المديح فخراً لأن اساس الطبيعة البدوية تكمن في الاعتماد على النفس التي تنمي في شخصية الانسان صفة الكبرياء التي عرف بها العرب لأنهم في تلك المرحلة لم يكن الشاعر يمدح إلا بما يراه حقيقياً في الممدوح من فضائل وخصال حميدة .

وان النقاد تعرضوا لغرض المدح بالنقد وحددوا فيه شروط المدح الجيد فاختاروا الأسلوب الجزل وأن تكون الفاظه متخيرة وان تكون القصيدة متوسطة إذ يرى بعض الشعراء ان الإطالة في المدح انما هي ضرباً من الهجاء كما في قول ابن الرومي: [1]

كلُّ امرىءٍ مدح امرأً لنواله فأطال فيه فقد أراد هجاءَهُ

لو لمْ يقدِّرْ فيه بُعْدَ المُسْتقَى عند الورود لَمَا أطال رشاءَهُ[2]

فحافظ المديح في الشعر الأندلسي على الأسلوب القديم عن طريق تلك القيم والتي تبدأ غالباً ببكاء الأطلال أو الافتتاح بالغزل ثم الانتقال إلى الغرض الأساس. [3]

فلم يختلف شعراء الأندلس عن هذا الفن الشعري فقد نظموا المدائح وأكثروا منها حتى لدى بعض كبار شعرائهم أمثال ابن هانئ الأندلسي وابن دراج القسطلي وغيرهم، فتنوعت نماذج شعر المديح في الأندلس بتنوع شعرائه ومنها قصيدة الشاعر ابن هاني الأندلسي الذي مدح السلطان جعفر والتي بدأها بمقدمة غزلية كما هو معروف عند العرب القدماء، قال فيها [4]:

أحببْ بهِ قنصاً على مقتنصٍ وفريصة تهدى إلى مفترصِ
تدنيك من كبد عليك عليلةٍ وتمدُّ من جيد إليك منصّصِ

فالشعر الأندلسي قريب إلى النفس من حيث قراءته وما نعموا به من طبيعة وحضارة فشعراء الأندلس لم يتركوا شيئاً من متعلقات بيئتهم التي عاشوا فيها فنظموا في كل الاغراض الشعرية فالقصيدة الأندلسية لا تختلف عن غيرها من القصائد فهي تقوم على وحدة موضوعية وتحتوي على فكر وخيال و عاطفة ووزن وقافية مع سهولة المعاني وجزالة الالفاظ وكما تقدم فأن فنون الشعر الأندلسي قسمها الباحثون إلى فنون تقليدية وفنون توسعوا القول فيها وفنون مستحدثة. فكتب معظم شعراء الأندلس في غرض المديح وسوف نذكر نماذج من شعر المديح في شعر ابن هانئ الأندلسي وابن درّاج القسطلي.

المديح عند ابن هانئ الأندلسي:

هو أبو القاسم محمد بن هانئ بن سعدون الأندلسي ولد سنة (٣٢٦ هـ) [1] في قرية من قرى اشبيلة فنالَ منها حظاً طيباً من الثقافة وأتم تعليمه بقرطبة .

فذكره ياقوت الحموي (ت626هـ) بقوله : (أديب شاعر مفلق اشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق ونال حظاً واسعاً من علوم الأدب وفنونه)[2].

فقد أشاد ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) بالشاعر ومدحه بقوله : (كان من فحول الشعراء وأمثال النظم وبرهان البلاغة) [3].

فأن شعر ابن هانئ الأندلسي قد طبع بطابع العصر وذخر بصور تظهر هذا الواقع وتبرزه بأحلى مظهر وله مع حروب المعز لدين الله مع الروم واستيلائه على بلادهم دليل واضح [1]

فمن ظواهر التقليد نجد الشاعر يجمع بين عناصر المقدمة التقليدية وهو يستمر في قصائده مادحاً الممدوح إبراهيم بن جعفر بن علي اذ يقول: [1]

قَدْ مَرَرْنَا علـى مَغَانيكِ تلكِ فرأينَا فيـهَا مَشابِهَ مِنكِ
مُسعِدي عُجْ فقد رأيتَ مَعاجي يومَ أبكي على الدّيارِ وتبكي
بحنينٍ مُرَجَّـــعٍ كحنيني وتَشَـكَّ مُرَدَّدٍ كتَشَكّي
فاتّئِدْ تسـكبِ الدموعَ كسكبي ثمّ لا تَسفِكِ الدّماءَ كسَفْكي
لا أرى كـابنِ جعفر بنِ عليٍّ مَلِكاً لابِساً جلالَـةَ مُلْكِ
مـثل ماء الغمام يَنْدى شباباً وهو في حُلَّتَي تَوَقٍّ ونُسكِ
يطأ الأرضَ فالثّرى لؤلؤ رَطْبٌ وماءُ الثرى مُجاجَةُ مِسْك

فنجد الشاعر يستمر مادحاً المعز وهو يوجه الخطاب الى الخصم ويحذرهم حيثُ يقول: [1]

يا ويلكم أفما لكم من صارخٍ الا بثغرٍ ضاع او دين عفا

وقوله ايضاً: [1]

فلا تتكلف للخميس من العدى خميساً ولكن رعهُ باسمك يُهزم

فهذا الخطاب والنهي لدى الشاعر وهو يقول للممدوح بأنه لا داعي لتجهيز جيشك لكي يصد جيش الأعداء فكل ما عليك هو ان ترعب هذا الجيش باسمك فقط حيث يتلقى المتلقي التعبير واضحاً، وايضاً نجد الشاعر يصف الممدوح ابا الفرج محمد بن عمر بعدالته وتحكمه في ملكه وهو الأمر الناهي بأنه لم يظلم ولم يجامل على حساب الحق كما في قوله: [1]

فأنت من أقطع الأقطاع واصطنع المعروف فيها ولم تظلم ولم تحبِ

فظهر الممدوح في شعر ابن هانئ الأندلسي من خلال عدة شخصيات كمدحه للمعز حيث يقول[2]

ولا مـدح إلا للمعز حقيقة يُفصَّلُ دُرّاً والمديح أساليبُ
نجارٌ على البيت الامامي مُعتلٍ وحكم العدل الربوبي منسوبُ

إذ يخبرنا الشاعر بأن المديح مهما اختلفت أساليبه لا تليق بغير المعز وهو يعطي رأيه بممدوحه للتعريف به من جهة الحسب، بقوله (النجارٌ على البيت الامامي مُعتلٍ) وتذكير الخصم بهوية الممدوح ، بقوله (وحكم العدل الربوبي منسوبُ) [1].

وقول الشاعر ابن هانئ الأندلسي وهو يصف انتصار الممدوح المعز على الروم وهزيمتهم جراء جهلهم بقوة الممدوح وجيشه حيث يرفع من قيمة الممدوح لكي يدفع المتلقي نحو الوقوف بجانبه بإحدى صور الإقناع التي يرسمها الشاعر وهو يوظف اسلوب الطلب بعدم استطاعة العدو من الانتصار على الممدوح إذ يقول: [2]

لم يعلموا أن ذاك العزم مصلتُ وأن تلك المنـايا بالمراصيدِ
حتَّى أتوك على الأقتاب من بُهمٍ خزر العيون ومن شوسٍ مذوايدِ

وايضاً نجد الشاعر في شعره, وهو يمدح الممدوح يستخدم رابطاً مركباً (من أجل ذا) لكي يحمل المعنى بصورة مباشرة وهو يصف الممدوح (بطيب الافواه) حتى يصل الكلام إلى المتلقي في (عذوبه الأفواه) وهو يرسم صورة الممدوح أنه سبب نجاة الأهل من الأعداء حيث يقول : [3]

قَدْ طَّيب الافواه طيب ثنائهِ فمن أجل ذا نجدُ الثغور عذابا
لو لم تكن سبب النجاةِ لأهلها لـم يُغنِ إيمانُ العباد فتيلا

حيث وظف الشاعر اسلوب الاستفهام فخرج به من معناه الأصلي إلى اداة وظيفة اخرى تفهم من سياق كلام المتكلم للشخص الممدوح، فيكون المتلقي جاهزاً لقبول الأفكار التي اراد الشاعر أن يميل نحو الممدوح اعجاباً بقوته كما في قوله أيضاً: [4]

وأي لسانٍ ناطقٌ وهو مفحمٌ وايُّ قعودٍ ناهضٌ وهو بارك؟

فكرر الشاعر اداة الاستفهام (اي) لتعميق درجة الأقناع لذهن المتلقي مع الصورة التي رسمها من استعمال الاستفهام وخروجه من معناه الأصلي إلى معاني اخرى كالمجاز محققاً دلالة التقرير والأقناع لدى المتلقي في مدح الممدوح حيث يقول: [5]

أتدرون من أزكى البرية منصباً وأفضلها إن عدد البدو والحضر؟

فنجد الشاعر يستفهم عن الممدوح بـ (أزكى البرية وأفضلها) كوحدة مستقلة بمعناه الأصلي لأن الشاعر قصد الانتقال بالمتلقي من تقديم الإجابة الحقيقية إلى مقام تأويل الجملة الاستفهامية حين وصف الممدوح الذي قرع ذهن المتلقي ليكون فاعلاً في مستوى تركيب اللغة للشاعر ولوصفه للممدوح .

إذ يتضح لنا من ذلك أن التراكيب في شعر ابن هانئ الأندلسي تشكل ظاهرة لغوية تحمل طابع بلاغي جميل وصور فنية تخرج إلى معانٍ أخرى تفهم من خلال السياق .

وايضاً نجد نجاح الشاعر في ايصال وصف الممدوح إلى المتلقي في ابيات شعرية صاغها وشحنها بالطاقة الاقناعية مع سمو جمال اللفظ والعبارة في الأسلوب حيث وظف لها التراكيب اللغوية وهي تحمل طابع جميل وصور فنية يستمدها من البيئة الأندلسية إذ كان الشاعر مرسلاً جيداً يحدثُ تأثيراً في نفس المتلقي.

المديح عند ابن درَّاج القسطلي:

هو أحمد بن محمد بن العاصي ابن درَّاج، ويلقب : بالقسطليَّ نسبه إلى بلدة قسطلة مسقط رأسهُ. وكانت ولادته (٣٤٧هـ - 958م) فقد كان يقال : (قسطلة ابن دراج). [6]

---

(3) تبيين المعاني : ص ٥٨٤.
(4) تبيين المعاني : ص ٢١٤.
(1) تبين المعاني : ص ١١٢.
(2) تبيين المعاني : ص ٢٥ ٥.
(3) تبيين المعاني : ص ٣٣٩.
(1) الأدب الاندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة : الدكتور أحمد هيكل :ص303.

وقد تميز ابن درَّاج بكثرة شعره، إذ يغلب غرض المديح على معظم قصائده التي اشتملت على الم الفراق والبعد من الأحبة والحنين إلى الوطن، وفي ذلك يقول [1]:

فإن غربت أرض المغارب موئلي وانكرني فيها خليط وخلان
فكم رحبتَ أرض العراق بمقدمي وأجزلت البشرى علي خراسان

فصور ابن دَّراج ذلك الفراق والألم في شعره بأفكار ملونه وأساليب متنوعة وبطرق مختلفة حيث تتفاوت فيها قوة العاطفة وأنه قد خص (العراق) لمَّا أشتهر به العلماء والادباء واجتذابه للمتعلمين ، وخص (خراسان) لمّا وصلت إليهم إشعارهِ من شهرة الأندلس والبعد المكاني .

إذ يقول في مدح لبيب العامري [2]:

هَل تثنيَنَّ غُروبَ دمع ساكب من شامَ بارقةَ الغمامِ الصَّائب

نحن امام شاعر من أسرة عريقة إذ يقول صاحب جمهرة أنساب العرب: (صنهاجة منهم بنو درَّاج رهط الشاعر أبي عمر واحمد بن محمد بن درَّاج القسطلي) [3].

ويقول ابن دراج متسائلاً عن ألم الفراق [4]:

فـهل آذنتْ هجرتي أنْ تريني عواقب تجلو كُروَب الجلاءِ
وهل ظفرتْ همَّتي من هُمومي بثأرٍ مُنيم ووترٍ بــواءٍ [5]
ألــمْ يتناه غُروُبَ الغريب إلى مطلع الشَّمس في الانتهاءِ
ولـمْ اتَّخَذْ جُنح ليل المحاقِ جناحاً إلـى نور ليل السَّواءِ

ففي هذه الأبيات نجد نغمة موسيقة تجسد وتصور شخصية قلقة من أجل الوصول إلى الحقيقة يتأنى فيها الشاعر حين يتناول الالفاظ ثم يديرها في نفسه مع تجربته الذاتية ووضعها في سياق معانٍ جديدة. [6]

فيقول[7]:

فيا ضلال نجوم الليل اذْ عدمتْ بدَر السَّماء وفي روضي مرَاتعهُ
حتَّى بدأ الصُّبحُ مشمطاً ذوائبهُ يطاردُ اللــيل موشياً أكارعهُ

وايضاً قوله [8]

فهل أنتَ يا زمنَ الرَّبيع مُبلغٌ بالمغربين احبَّتي وأقاربي

ومدح ابن دراج المنصور بن أبي عامر بأنه مأوى لكل غريب وكافل لكل يتيم إذ يقول: [9]

وحوى عن المنصور غُرَّ شمائلي قادت له الدنيا بغير زمامِ
يــا ربنا فاحفظ علينا منهما ذُخر الرجاء وعدة الأسلامِ
يا موسـع الرَّاجين إفضالاً ويا مأوى الغريب وكافلَ الايتامِ

(2) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص75.
(1) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص90.
(2) جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ، تحقيق عبد السلام هارون : ص 501-502.
(3) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص ٢٨٥.
(4) وتر : معناه الطالب للثأر، بواء : عدل ساوى دمه بدمهِ
(1) ينظر: بنية اللغة الشعرية : جان كوهين - ترجمة محمد المولى و محمد العمري : ص ١٢٩.
(2) ديوان ابن درَّاج القسطلي . ص ١١٥.
(3) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص ١٤٠.
(4) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص ٣٦١.

فتجد ألم الفراق مرتبط بقصيدة المديح التي حافظت على الأسلوب القديم [1]، إذ بناؤها يتخلص في المقدمة وحسن التخلص، وبما أن الشعراء الأندلسيون كانوا متأثرين بالشعراء الذين سبقوهم وساروا حذوهم وتمثلوا بهم ، يقول حازم القرطاجني :

(وأنتَ لا تجد شاعراً مجيداً منهم إلا وقد لزم شاعراً آخر لمدة طويلة وتعلم قوانين النظم)[2].

فمن مقدمات ابن دراج التي مزج فيها بين الغزل بمحبوبته وبين عناصر الطبيعة إذْ يقول[3] بأسلوب الطلب وهو يتساءلُ عن نور محبوبته اهو نور وجهها أو أنها أوقدت النار بالليل .

أنورك أم أوقدتِ باللَّيل نارك لباغٍ قراكِ أو لباغٍ جوارك

ومن مقدماته شاكياً [4]:

كم أستطيلُ تضلُّلي وتلدَّدي وأروحُ في ظُلم الخُطوب وأغتدي

وقوله [5]:

لعل بما اشجاك من لوعة النوى يعزُّ ذليلُ أو يفكُّ أسيرُ

وقوله أيضاً [6]:

لعلك يا شمسُ عند الأصيل شجيتُ لشجو الغريب الذليلُ

فنجد الشعراءُ الأندلسيين بانتقالاتهم من مقدمات مدائحهم، إلى موضوع المديح الذي يقصدون إليه ليكون بين المقدمة والمديح [7]، ولذلك أشار القرطاجني إلى ضرورة التخلص الحسن إذ يقول : (و يجب ان يكون التخلص لطيفاً والخروج إلى المدح بديعاً)[8].وربما يستهل الشاعر الأندلسي مدحته بمقدمة يعترض في وسطها مدح قصير لممدوحه. [9]ومن تخلصات ابن دراج القسطلي :

ومن كُلَّ مَرأَى مُحيَّا جميلٍ تلقي الخطُوب بصبر جميلٍ

لعــل عواقبهُ أَنْ تتمَّ فُيهدى الغريبُ سواء السَّبيلِ

إلى إن قال :

إلى المستضاف المليك العزيز من المستضفِ الغريبِ الذَّليلِ

فكان حديث ابن درَّاج عن تمني تحقيق آماله إلى سواء السبيل لأنه غريب ذليل ليستخلص إلى مدح ممدوحه وهو (ملك كريم عزيز - ضيف غريب ذليل) إذا يستحق العطف و تحقق آماله.

وقوله [10]

حق بدأ الصَّبحُ مشمطاً ذوائبهُ يُطارد الليل موشياً أكارعُه

إلى أن قال :

وان يرع نازحُ الأوطانَ عنكَ فَقَدْ راعَ العدى منهُ يوم أنتَ رائعهُ

وهذا دليل على أحساس الشاعر وحسن تخلصه وحذقه إذ يعد النقاد التخلص الحسن في الشعر دليلاً على حذق الشاعر وقوة تصرفه نظراً لأتباع الشعر نظام الوزن والقافية [1].

---

(5) ينظر : في الأدب الأندلسي : الدكتور جودت الركابي : ص ١١٥.
(6) منهاج البلغاء وسراج الأدباء الحازم القرطاجي : ص 27.
(1) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص ٨٤.
(2) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص ٦٠.
(3) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص ٢٤٩.
(4) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص ١٢٨.
(5) ينظر قصيدة المديح في الأندلس قضاياها الموضوعية والفنية - عصر الطوائف : اشرف نجا: ص 173-١٧٤.
(6) ينظر : قصيدة المديح في الأندلس : ص ١٧٧.
(1) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص ٦٦-٧٧.
(2) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص ١١٦

وفي ذلك يقول ابن طباطبا : (فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة محَّض المعنى الذي يريد الشعر عليه في فكره نثراً وأعد له ما يلبسهُ إيَّاهُ من الالفاظ التي تطابقه القوافي التي توافقه الوزن الذي يسلس له القول عليه) [1].

ونجد في أغلب قصائد ابن درَّاج يختمها بالدعاء وهو يرسم صورة الممدوح بأن يحميه الله غدر الزمان وتقلب الدهر عليه ومن ذلك قوله [2]:

وأجـارَ قدرك أن يسوغُ لقائلٍ جارَ الزَّمانُ وأنتَ منه جارُ
ولحقُّ من أبقى ثناءكَ في الورى أن تستقرَّ بـه لديكَ الدَّارُ

وكما اهتم النقاد بالمقدمة والتخلص اهتم الشعراء الأندلسيين بالخاتمة فأكدوا على ضرورة حسن الانتهاء وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع وسبيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون آخره قفلاً عليه. [3]

وهنا يختم الشاعر قصيدة من قصائده وهو يمدح ممدوحه بالسقاية والرعاية إذ يقول: [4]

فتملَّؤوا يا آل يحيى غمركُمْ في ملكِ يحيى بالمعنى محمودا

وقوله أيضاً ان ممدوحه ببره وعطفه قرب البعيد واستبشر الزوار بجمع الشمل :[5]

وبرُّك للأضيافِ قرَّب بُعدها وبشرُكَ بالزوَّار ألَّفَ شملهَا

ولا يعني أن ابن درَّاج القسطلي أقتصر خواتمه على الدعاء والمدح بل هناك قصائد انتهت بالثناء والشكر للممدوح حيث يلحظ تنامي الشعور للبناء الفني بتراكيبها اللغوية لشعرهِ لنرى مدى تشابك تلك الأجزاء وتلاحمها لتشكل تلك الوحدة الفنية.

النص الشعري والأسلوب:

النص الشعري بناءُ إذْ يتألف من عددٍ ما من العناصر حيث تسهم تلك الروابط التركيبية في تحقيق و ايجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر لأن دراسة التراكيب اللغوية وتحليلها هي اثبات كفاءة الشاعر بإيجاد التشابه والاختلاف بين شاعر وآخر في بنية اللغة ، فلا بُدَّ لكل شاعر اسلوبه إذا نجد أن الأسلوب من المصطلحات النقدية التي نالت اهتمام الدراسين والنقاد .

حيث جاء في لسان العرب لأبن منظور عن الأسلوب :

(ويقال للسطر من النخيل : اسلوب ، وكل طريق ممتد فهو اسلوب ، والأسلوب الطريق ..... والأسلوب : الفن : يقال : أخذ فلان في اساليب من القول ، اي افانين منه)[6] ومعنى هذا ان الأسلوب ظاهرة تلازم تحقيق العملية اللغوية في حين يعرفه ابن خلدون بقوله :

(عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب او القالب تفرغ فيه) [7]

والأسلوبية ذات ارتباط بالأسلوب وهي تطلق على جملة المبادئ والمعايير التي يحتكم إليها في تميز الأسلوب بمعنى أن الأسلوبية في أبسط معانيها هي الدراسة العلمية للأسلوب .

وهي تفيد في فهم النص الأدبي واستكشاف ما فيه من جوانب جمالية تمثل التميز في الأداء للنص الشعري في الاعتماد على لغة الشاعر وخواصه الفنية [8]. حيث يتمثل النص عبر المستوى الصوتي الذي يتناول فيه

---

(3) ينظر : المثل السائر لأبن الأثير : ص١٢١
(1) عيار الشعر : لأبن طباطبا العلوي : ص7.
(2) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص 130.
(3) العمدة في صناعة الشعر ونقده: لأبي على الحسن بن رشيق : ص378.
(4)ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص ٢٢٤
(5) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص ١٨٩
(1) لسان العرب لابن منظور : مادة (سلب)
(2) مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٧٠ ـ ٥٧١

الدارس ما في النص من مظاهر اتقان الصوت ومصادر الإيقاع به ، بينما يقوم المستوى التركيبي على وصف بنية التراكيب اللغوية في الخطاب الأدبي للنص مقتضياً أبعادها الدلالية ومركزاً على بعدها الوظيفي في سياق معاني النحو و مستوى دلالي للألفاظ وما فيها من خواص تؤثر في الأسلوب [1].

ونفهم من ذلك إن البحث الأسلوبي هو بحث عن العناصر اللغوية التي تجعل من النص عمل أدبي عبر مستويات اللغة الصوتية والتركيبية والبلاغية ومن هنا اعتمادنا لتقصي ودراسة ملمح من ملامح النص اللغوي في شعر ابن هانئ الأندلسي وابن درَّاج القسطلي وذلك للكشف عن سمات التراكيب اللغوية في هذه - النصوص الشعرية ..

المستوى التركيبي في شعر ابن هانئ الاندلسي وابن درَّاج القسطلي:-

التركيب مجموعة الفاظ منسقة على نحو معين لأداء معنى ذهني تستمد دلالتها في العمل الأدبي من مفردات الدلالات اللغوية والمعنوية عن طريق ترتيبها في نسق معين واجتماعها مع الصور التي تشعها هذه الالفاظ وهي متناسقة العبارة [2] إذا ما ركبت تركيب نحوي أو بلاغي.

فقد عرض ابن هانئ الأندلسي وابن دراج القسطلي هذه الظواهر التركيبة في شعره: (الاستفهام و النداء ، النفي) وغيرها من التراكيب النحوية ، وهي في مجملها كان لها الأثر في ايضاح المعاني وتحسين الكلام .

الاستفهام :

(هو طلب الافهام من فهم الشي فهماً أي علمه، واستفهم: سأله أن يفهمهُ)[3] وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً ساعة الطلب[4] وعرفه الجرجاني بأنه (الاستعلام ما في ضمير المخاطب وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن) [5]

ويعدُّ الاستفهام من التراكيب النحوية ذات الاليات الفاعلة في توجيه المعنى بنغمة صوتية ومنها ما يتم بطريقة تفهم من سياق الكلام.

ومن جماليات الاستفهام خروج هذا الأسلوب للمعاني البلاغية التي يخرج إليها حين يكون على غير حقيقته الأصلية ومن صوره في شعر ابن هاني قوله: [6]

ولـــم أر زُوَّاراً كسيفك للعِدى فهل عند هام الرَّومِ أهلٌ وترحيبُ
وأيُ لـــسانٍ ناطق وهو مفحمٌ وأيُّ قعودٍ ناهضٍ وهـو باركُ ؟
فمن مخبري عن ذا العيان الذي أرى فـــإنَّ يقيني فيهِ مثل توهمي ؟
أفـي الجيشِ كنتم تمترون رويدكم فهذا القنا العرَّاصُ والجحفلُ المجَّرُ ؟
أتـدرونَ من أزكى البرَّية منصباً وأفضلها إن عُـدَّتْ البدوُ والحضرُ ؟
لمن صولجانٌ فـوقَ خدَّك عابثُ ومـن عاقدٌ في لحظِ طرفكِ نافثُ ؟

ففي هذه الاستفهامات يبحث الشاعر عن اشراك المتكلم في البحث عن تصور معين وهي تخرج دلالة هذا الأسلوب إلى المجاز ليظهر الشاعر طاقته في هذه الأبيات الشعرية ليفيد دلالة التفخيم لسيف الممدوح وهو لم يضعف امام طرق الاعداء إذ يريد الشاعر نصر الممدوح ولو زادت عليه نوائب الدهر وتقلبات الزمن حيث يخرج الاستفهام بـ (أيُّ - من) من الحقيقة إلى المجاز محققاً دلالة التقرير ، وحيثُ وقوع الاستفهام عن طريق

---

(1) ينظر: المنهاج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي : خليل عودة ، مجلة النجاح للأبحاث، ج2، العدد/8 ،١٩٩٤ : ص١٠٠
(2) ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب : نور الدين السد : ج 1/ ص ١٧2
(3) ينظر : نظرية التصوير الفني عند السيد قطب : صلاح عبدالفتاح الخالدي : ص ٢١
(1) لسان العرب لابن منظور مادة (فهم)
(2) البلاغة فنونها وافنانها: من ١٦٨
(3) التعريفات للجرجاني : 309
(4) ديوان ابني هاني الأندلسي : ص ٤٣ -٤٤

الهمزة ليؤكد شجاعة ممدوحه المعز فيعد اسلوب الاستفهام في شعر ابن هانئ ظاهرة بلاغية جمالية كونه خرج من الحقيقة إلى المجاز فصار بمعنى الخبر لا الأنشاء. ويمثل الاستفهام عند ابن درَّاج القسطلي نمطاً يظهر فيه تكراره وهو يدخل في دلالات المعرفة والاستنكار وغيرها من الدلالات الأخرى كي يبين الاستفهام دوره في ترابط ابيات القصيدة و تماسكها ودوره في الكشف عن انفعال الشاعر ومدى استجابة المتلقي لها، وفي ذلك يقول الشاعر في مدح ممدوحه : ([1]

أنورُك أمْ أوقدت بالليل نارك لباغٍ قراكِ أو لباغٍ جـوارِكِ
ورَيَّاكِ أمْ عرفُ المجامر أشعلتْ يعود الكباءِ والألوَّةِ نـارِكِ
ومبسمُكِ الوضَّاحُ أم ضوءُ بارقٍ حداهُ دعائي أن يجود ديارِكِ
وخلخالكِ استنضيتِ أم قمرٌ بدا وشمسٌ تبدَّت أم ألحتِ سوارِكِ
وطرَّةُ صبحٍ أم جبينُك سافراً أعدتِ الصَّباح نورهُ أم أعارِكِ

تمثل هذه الابيات في شعر ابن درَّاج التي أفتتحها بمقدمة غزلية ومن خلالها وظف الاستفهام بأداته (الهمزة) التي يطلب من خلالها التصور والتصديق حيث توالى العطف بـ (أم) على الاستفهام وهدف الشاعر في هذه الغزلية هو الغرض الرئيس وهو المدح حيث يشير إلى بعض المعاني المدحية التي يتوجه بها إلى وصف ممدوحه عندما تتوالى الأسئلة في هذه الأبيات وهو يقصد اثبات بعض صفات من يحب حين يسأل عن مصدر الضياء الذي يتبدى وسط ظلام الليل ، أم هو من النار التي اشعلتها لكي تكون دليلاً للضيوف ، فالشاعر يريد ان يتصور السامع والمتلقي صفات الجمال والكرم وحسن الجوار ومصدر الرائحة الطيبة حيث يدلل الشاعر على وصف الممدوح امام من يستضيفهم وهو يذكر صفات المحبوبة وجمالها وسر الضياء (قمر - شمس - خلخال - سوار) .. فالهدف من هذا الاستفهام هو أثبات مجموعة من صفات الحسن والجمال والكرم للمحبوبة أو الممدوح حين يطلب الشاعر التعيين عن طريق السؤال حيث فيه أشاره واضحة إلى معاني المدح .

فنجد الشاعر في قصائده يستفهم بـ (هل) التي يطلب بها الصديق اي بمعنى يريد الشاعر ان يثبت أو ينفي بكاء شخص عزيز عليه إذ يقول: ([2]

هل تثنينَّ غروب ومع ساكب من شام بارقة الغمام الصَّائب

فالسؤال هنا خرج إلى معنى الطلب فهو يطلب ايقاف تلك الدموع مع صبيغ البالغة (ساكب - صائب) وأتت الإجابة في قوله إلى حيث يقول: ([3]

قالت وقَد مزجُ الوداعُ مدامعاً بمدامعٍ وتَرائباً بترائبِ

فالاستفهام قصد به الشاعر هنا معنى التوجع والتحسر فقصائد الشاعر تحمل موضوع المديح والحديث عن ألم الفراق والوجع أي بمعنى تكوين علاقة بين موضوعين فأكثر داخل القصيدة. ([4]

ونجد في ذلك مساحة نغميه موسيقية تجسدها التجربة الشعرية في شعره من الناحية النفسية والاجتماعية المتمثلة بالأهل والأصدقاء، وهو يصور ذلك الصراع بكل نواحيه بأجل تعبير واصدقه فأصبحت سمة بارزة في شعره ، ويستمر الشاعر في رسم صورة ممدوحه وهو الوحيد بكرمه ان يمحو ويزيل قلق الشاعر وهمَّهُ لهذه الأبيات الشعرية في قصائده وهي بعدين زماني ومكاني يتمثل في فراق الأحبة ومدى الأحساس بالقلق من ردة

(1) ديوان ابن دراج القسطلي، ص 84
(1)ديوان ابن درَّاج القسطلي: ص90
(2) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص ٩٤
(3) ينظر: الصورة الفنية في النقد الشعري : الدكتور عبد القادر الرباعي : ص169

فعل ممدوحة لذلك صاغ تلك النفسية القلقة سؤالا بتراكيب مختلفة صاغها على لسان فراق الأحبة إذ يقول: (1)

أتفرقٌ حتَّى بمنزلٍ غربةٍ ؟ كَم نحنُ الأيام نُهبة ناهبِ !

فبغياب ابن درَّاج عنه أهله تصبح تلك الأسرة نهبة لكلَّ ناهب وطامع ولهذا استخدم الشاعر (كم الخبرية) والاستفهام هنا خرج إلى معنى الإنكار .وقول الشاعر ابن درَّاج وهو يستفهم ويظهر حالته النفسية قائلاً: (2)

ألا هل إلى الدنيا معادٌ وهل لنا سـوى البحر قبرٌ وسوى الماءِ أكفانُ ؟

وهبنا وبنا معلم الأرض هل لنا من الأرضِ مأوىً أو من الأنس عرفانُ ؟

حيث يظهر لنا الشاعر نغمة حزينة وهو يصور رحلته في البحر وسبل النجاة وهل سيكون لهم في الأرض مأوى يأويهم وخير يجدونه من الناس.

النداء:

هو((الصوت وقَدْ ناداه ، ونادى به ، و ناداه مناداة ونداء)) (3)

وهو (طلب الإقبال بحرف نائب مناب ادعو او انادي) (4) ، واشار اليه محمد المخزومي : (هو اسلوب القصد منه التنبيه وحمل المنادى على الالتفات) (5) وهو تنبيه للمخاطب ليصغي إلى ما يجي من الكلام المنادى له (6)وهذا الطلب يقصد به تنبيه المنادي.

والنداء من الاساليب التي تساهم في بناء البيت الشعري عن طريق صيغته الاعتيادية يقصدها الشاعر ليضفي على النص الشعري طابع جميل وزيادة في المعنى حيث يخرج الكلام لإفادة معانٍ دلالية وبلاغية تفهم من سياق القول. فقد شكل هذا التركيب ملمحاً فنياً في شعر ابن هانئ وابن درَّاج القسطلي متمثلاً بأجل المعاني دلالة وبلاغة تفهم من سياق القول، نحو ما قاله ابن هانئ في مدح المعز: (7)

فيا أيُّها الشانيةُ خلفك صادياً فإنكَ عن ذاكَ المعين مزودُ

أمعز دين اللهِ إنَّ زماننا بك فيه بأوٌ جَلَّ واستكبارُ

فنجد الشاعر ابن هانئ يخص اعداء المعز ممن يبغضونه ويكنون له العداء والحسد في البيت الأول مخاطباً بالنداء للدلالة على استبعادهم من سماحة الممدوح والتنعم بفضائله وهو استعان بأداتي النداء (يا – أي - الهمزة) لنداء القريب فأنزلتها الأداة الأخيرة للاستبعاد ونداء البعيد لأجل ارتفاع من شأن الممدوح ومرتبته حيث يتوجه الشاعر لندائه وهو يضم دلالة تخصيص للممدوح المعز بالتتويج والرفع من شانه من بين سائر الناس حيث يقول: (8)

أمتوج الخلفاء حاكمهم وإن كان القضاءُ لما تشاءُ كفيلاً

اذ يتضح لنا من تكرار حرف النداء جاء من اجل وظيفة إيحائية والتقدير خصال الممدوحين (المعز - جعفر) وهو يقول: (9)

فيا جعفر العلياء يا جعفر النَّدى ويا جعفر الهيجاء يا جعفر النَّصر

---

(1) ديوان ابن درَّاج القسطلي: ص ٩٣
(2) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص 74
(3) لسان العرب لابن منظور : مادة (ندى)
(1) تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع : القزويني : ص ١٠٦
(2) في النحو العربي - نقد وتوجيه : الدكتور محمد المخزومي : ص ٣٥١
(3) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين الدكتور قيس أسماعيل الاوسي: ص218
(4) ديوان ابن هانئ الاندلسي: ص ١٨٦،٩١
(5) ديوان ابن هانئ الاندلسي : ص 280
(1) ديوان ابن هانئ الاندلسي: ص ١٦٢

وهذا المديح يناسب الانشاد في سيادة الخطاب القوية التي ارتبطت بمواقف الحماسة والبطولة في وصف الممدوح والتي عبر عنها الشاعر ابن هاني بقوله: (2)

يـا خيرَ ملتحفٍ بالمجد والكرم وأفضل الناس من عرب ومن عجم
يا بن السَّدى والنَّدى والمعلواتِ معاً والحلم والعلم والاداب والحكـمِ

وايضاً قوله (3)

يا ربَّ كـلَّ كتيبةٍ شهباءِ ومآبَ كلَّ قصيدةٍ غرَّاءِ
يا تارك الجَّبار بعثرُ نحرهُ في قصدةِ اليزنية السَّمراءِ

فنجد أن هذا الأسلوب عند الشاعر خرج عن مقضى الظاهر حيث وظف هذا التركيب النحوي واستفاد منه في خدمة اغراضهُ الشعرية ومعانيها المختلفة .

وقول ابن درَّاج: (4)

يـا صَفْوَةَ الأَجفانِ من عَبَراتِها ومُدَّخَرَ الأَضلاعِ مـن زَفَرَاتِها
هلُمِّي إِلَـى أُمَّ الرَّزَايا فأَسْعِدِي نفوساً يضيقُ الدَّهْرُ عن حَسَراتِها
فيَـا عَبْرَةَ الأَيَّامِ بالقَمَرِ سهمهُ ففَّجعت لدُّنيا بأسرى سـراتها
ويـا غَمْرَةً لِلْمَوْتِ غالَ حِمامُها فثِ أَنْقَذَ الأَحرارَ مـن غَمَراتِها
ويا دَوْحَةَ العِزِّ الَّتِي قادَتِ المُنى إِلَى باسِقِ الأَغصانِ من شَجَراتِها
لَئِنْ فاتَـني صَرْفُ الحِمامِ بِظِلِّها لقد أَخْلَفَتْ لي مـن جَنى ثَمَرَاتِها
وإِن غاضَ عَيْنَيْ ماءِ دِجْلَةَ حَيْنُها لـقد أَغرقَتْ أَرْضَيَّ بَعْدَ فُرَاتِها

فنجد الشاعر يكرر حرف النداء (يا) في مطلع أربعة أبيات في هذه القصيدة لكي يظهر الشاعر فكرته وهو يكرس صفات للممدوح ومرثيه وهو يكرر اداة النداء للربط مع المنادى (صفوة الأجفان - عبرة - غمرةً - دوحة) فجاء الأمر لها بكلمة (هلمي) ليبين سبب الدعوة التي وجهت لأداة النداء وهي وسيلة صلة للربط الابيات الشعرية مع بعضها لفظاً ومعنى ونحن نجد الضمير (الهاء) وهو يعود على المنادى وبهذا يتحقق شكل من اشكال التماسك على مستوى النص حيث ينشأ ايقاع داخلي يمنح النص جرساً مؤثراً في السمع لدى المتلقي وهو يواصل رسم صورة ممدوحه . حيث يقول: (1)

يـا قائد الخيلِ العتاقِ كأنما عزماتهُ أرماحها وشفارهـا
ليثٌ يخاطرُ في المكرَّ بنفسهِ همٌ عظيمٌ في العلا أخطارها

فنجد الشاعر يبدأ البيت الشعري بالنداء الذي جاء معرفاً بالإضافة فقد أضيف هذا القائد للخيل العتاق اي الكريمة والأصيلة وهي كناية كما شبه الشاعر عزماته بالرماح والشفار في قوتها وحدتها فهو ليث لا يخاف المخاطرة وهو دليل على همة الممدوح العالية، وهذا الوصيف كله من اجل جلب انتباه المتلقي.

ويقول الشاعر ايضاً: (1)

وهلْ أبصرتْ عيناك بدراً طالعاً في الأفقِ إلاَّ من هلالٍ غاربِ
يا ربَّـة الخدرِ استجدي سلوةً جَـدَّ النَّجاءُ بهائم بك لاعبِ

(2) ديوان ابن هانئ الاندلسي: ص 373
(3) ديوان ابن هانئ الاندلسي: ص 39
(4) ديوان ابن درَّاج القسطلي: ص ٤٤٩
(1) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص ٥٥٠
(1) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص ٩٤

فهنا يخاطب ابن درَّاج محبوبته قائلاً (يا ربَّة الخدرِ) طالبة منها ان تستبشر بالخير وان تستلهم بالسلوة والتحلي بالصبر والثبات ، فهذه اللوحة تعتبر امتداد للوحة الوداع والعتاب ولذلك أضفى الشاعر أسلوب النداء المخاطب للبعيد (يا ربَّة الخدرِ).

ومن ثم نلحظ التضاد المثير للقلق فنجد الكلمات (بدر - هلال - طالع - غارب) وهي تظهر مدى رغبة الشاعر في تحقيق أمله وهو يطلب من ربَّة الخدرِ ان تتحلى بالصبر والسلوان ليحقق حلمه في الاستقرار والأمان فلابَّدَ له من المديح .

النفي:

هو (نفي الشيء نفياً : تنحى ونفيته أنا نفياً) [2] ، وهو ما لا ينجزم بـ (لا) وهو عبارة عن الاخبار عن ترك الفعل [3]، والنفي ينفي حدوث الفعل والاسم عن طريق اداة النفي أو يعرف عن طريق السياق أي يشتمل على معنى النفي .

فورد حرف النفي (لا) في شعر ابن هانئ الأندلسي وذلك في الأبيات التالية: [4]

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ
كالبدر تحتَ غمامةٍ من قسطل ضَحيْانُ لا يُخفيهِ عنك سَرارُ
لا يَطّيبهِ غيرُ كَبـّةِ مَعْرَكٍ أو هَبْوَةٍ من مَأقِطٍ ومَغارُ
وكـأنَّ وفْرَتَهُ غَدائِرُ غادَةٍ لـم يلقها بؤسٌ ولا إقتارُ
مـرّتْ لغايتها فلا والله ما علقتْ بها في عدوها الأبصارُ

حيثُ أفاد حرف النفي (لا) في مدح الممدوح (المعز لدين الله) بصفة القدرة والتحكم في الأمور بمشيئته هو لا بما شاءت الأقدار حيث يواصل الشاعر المبالغة في وصف الممدوح ثم كرر الشاعر حرف النفي (لا) في الأبيات الشعرية التي ذكرت بعد دخولها على الجملة الفعلية (لا يخفيه - لا يطيبه) حيث أفاد النفي بـ (لا) نفي الحقيقة المتضمنة فيهما وساهم في إثراء النص وتشكيل المعنى وايصاله للمتلقي والسامع.

ويقول ابن درَّاج مادحاً : [1]

فـلا رجعتْ عنك الأماني حسيرةً ولا فزَّعتْ منَّا لديك التَّمائمُ
ولا ختمتْ عنك الليالي سـريرةً ولا فضَّت الأيام ما أنتَ خاتمُ
ولا نـظمَ الأعداءُ ما أنَّتَ ناثرٌ ولا نشرَ الأعداءُ ما أنتَ ناظمُ
ولا عدمَ الإشواكُ أَنَّـكَ ظاهر ولا عدم الإسلامُ أنـك سالمُ

فالشاعر كرر حرف النفي (لا) وما جاء بعدها من افعال ماضية تشكل ايقاعاً انتظمت فيه هذه الأبيات الشعرية وهو يكشف عن الرابط بينها حيث المعنى الإجمالي لتلك الأبيات في مدح الممدوح وعلى هذا النمط يجعل الشاعر المتلقي والمستمع يتوقع الدعاء في كل مرة للممدوح حين يؤدي تكرار اداة النفي من اجل الإسهام في تشكيل المعنى . وهذا التكرار تعبيراً عن قدرة الشاعر وبراعته في امتلاك اللغة والتفنن في تشكيل الدلالة والايقاع في النص الشعري ونجد الشاعر يرسم صورة النقاء والصفاء وهو يمدح أبا زكريا يحيى بن علي الأندلسي بقوله:[5]

له شيمةٌ كالأري صفو سجالها وما السم الا أن يقانى ويُمزجا

(2) لسان العرب كان منظور: بمادة (نفي)
(3) كتاب التعريفات: ص 351
(4) ديوان ابن هانئ الاندلسي : ١٤٦
(1) ديوان ابن درَّاج القسطلي : ص ١٣٧
(1) التعيين المعاني : ص١٣٩

حيث أدى توجيه الصفاء والنقاء للممدوح ويجعله كالعسل المصفى في كل شمائله من بين الناس الذين هم دونه في هذا المستوى من الوصف .

وايضاً نلاحظ استعمال الشاعر (لا) في قوله: (1)

فلا غرو إن اعززت دين محمدٍ فأنتَ له دونَ الأنامِ عقيدُ

ففي البيت الشعري يوجه الشاعر القول الى المتلقي بعدم التعجب وهو يستخدم الرابط بين صدر البيت وعجزه بفاء السببية التي اعطت النص طاقة إيجابية للمعاني بحيث لن يضطر المتلقي للسؤال حيث مازال الشاعر يستمر في مدح الممدوح كما في قوله: (2)

ولم أرَ زواراً كسيفك للعدى فهل عند هام الروم أهلٌ وترحيب؟

ويتضح لنا ان هذه التراكيب النحوية وغيرها وهي ظواهر سجلت حضوراً عند ابن هانئ الأندلسي وابن دراج القسطلي حيث وظفا هذه التراكيب واستفاد منها استفادة بالغة في خدمة اغراضهم الشعرية وهي تحتفي بالصور الشعرية المنسجمة بأسلوب واضح وجميل.

نتائج البحث:

1- جاء الشعر الأندلسي تعبيراً عن الحياة في الاندلس فالشاعر ابن بيئته ولأن الطبيعة التي حباها الله عزَّ وجل لتلك البلاد واسهمت في قدح القريحة الشعرية مانحة اياهم اجل المعاني واروع تصوير.

2- المعاني تتسم بالجدَّة وخلوها من المبالغة وتميز الالفاظ بالسهولة والوضوح.

3- شعراء الأندلس ساروا على سنن الأقدمين لبناء القصيدة وتقاليدها فنظم الشعراء الأندلسيين في مختلف الأغراض الشعرية، فحافظ المديح في أسلوبه عن طريق وصف الصفات التقليدية للممدوح والتركيز على انتصاراته

4- نجد نجاح الشاعرين ابن هانئ الأندلسي وابن درَّاج القسطلي في توظيف التراكيب اللغوية وهي تحمل طابع جميل وصور فنية مستمدة من البيئة الأندلسية وهي تحدث تأثيراً في ذهن المتلقي

5- التراكيب النحوية (الاستفهام - النداء - والنفي) سجلت حضوراً عند الشاعرين حيث وظفا هذه التراكيب في خدمة اغراضهم الشعرية وهي تحتفي بالصور الفنية المنسجمة بأسلوب واضح وجميل، وان دراسة هذه التراكيب هي اثبات كفاءة الشاعر وحذقهِ.

المصادر:

1- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، الدكتور احمد هيكل دار المعارف - مصر – ١٩٨٥م
2- الأدب العربي في الأندلس : الدكتور عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية. بيروت- لبنان (د.ت)
3- الاحاطة في اخبار غرناطة : لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب (ت 767هـ) مراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي / دار الأمل للدراسات الجزائر / ٢٠٠٩م
4- اساس البلاغة للزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر ، تحقيق محمد باسل ، دار الكتب العلمية - بيروت – ط1 - ١٩٩٨م
5- اساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، الدكتور قيس اسماعيل الأوسي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد / ١٩٨٨
٦- ابن هانئ الأندلسي متنبئ المغرب : الدكتور عارف تامر ، دار الشروق الجديد - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٦١م
7- الأسلوبية وتحليل الخطاب ، نور الدين السد ، دار هومه الجزائر (د ط) ١٩٩٧
8- بنية اللغة الشعرية ، جان هوكن، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري دار توبقال للنشر - الدار البيضاء – ط1 -1986م
9- البلاغة فنونها وافنانها - علم البيان والبديع : الدكتور فضل حسن عباس - دار الفرقان للنشر والتوزيع - الاردن ط ٤ - ١٩٩٧م

(2) التعيين المعاني : ص238
(3) تبيين المعاني : ص 55

10- تهذيب اللغة : للأزهري أبو منصور محمد بن أحمد(ت 370هـ) ، تحقيق العبد الكريم الغرباوي - مراجعة الاستاذ محمد علي النجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة
11- التعريفات الجرجاني علي بن محمد المعروف بالسيد الشريف. (ت816هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط ١ - ١٩٨٣م.
12- تبين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الاندلسي : الدكتور زاهد علي، مطبعة المعارف - مصر (د. ط)
13- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع : للقزويني الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن - المكتبة العصرية بيروت - (د. ط) (د. ت)
14- جمهرة أنساب العرب لأبن حزم الأندلسي / تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف (د.ت)
15- ديوان ابن هانئ الأندلسي، اعتنى به و شرحه أحمد طماش ، دار المعرفة - بيروت – ط 1 - ٢٠٠٥م
16- ديوان ابن درّاج القسطلي : تحقيق محمود علي مكي - المكتب الاسلامي - بيروت - ط 2- ١٩٦٩م
17- الصورة الفنية في النقد الشعري ، الدكتور عبد القادر الرباعي دار العلوم للطباعة والنشر 1984م
18- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو الحسن ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد - دار الجيل للنشر والتوزيع. بيروت- ط4 – ١٩٧2
19- عيّار الشعر : لأبن طباطبا العلوي : تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام - المكتبة التجارية الكبرى القاهرة - (د ط) ١٩٦٩م.
20- في الأدب الأندلسي ، الدكتور جودت الركابي / دار المعارف (د ت)
21- في النحو العربي نقد وتوجيه ، الدكتور محمد المخزومي - دار الرائد العربي - بيروت - ط ٢ - ١٩٨٠م
22- قصة الأدب في الأندلس : محمد عبد المنعم خفاجة ، منشورات مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٦٢م
23- قصيدة المديح في الأندلس قضاياها الموضوعية والفنية عصر الطوائف ، الدكتور اشرف محمود نجا (د ت)
24- لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ) دار صادر - بيروت - ١٩٩٤م
25- معجم مقايس اللغة للقزويني أحمد بن فارس بن زكريا(ت395 هـ): تحقيق عبد السلام هارون - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د. ط) 1979م.
26 - معجم الأدباء ارشاد الاريب إلى معرفة الأديب : شهاب الدين ابو عبد الله يا قوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ) تحقيق :احسان عباس / دار المغرب الاسلامي/ بيروت ١٩٩٣م.
27- المعجم الأدبي ، جبور عبد النور - دار العلم للملايين بيروت - لبنان – ط2 - ١٩٨٤م
28- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني - تحقيق : الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة/ الدار العربية للكتاب تونس -ط3-٢٠٠٨م
29- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين ابن الاثير(ت 637هـ): تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانه - دار نهضة – مصر القاهرة – ط 1-١٩٨0م
30 - مقدمة ابن خلدون : دار احياء التراث العربي – بيروت، ط 4 /(د.ت)
31- المنهج الأسلوبي في دراسة النص الادبي: خليل عودة - مجلة النجاح للأبحاث العدد الثاني ١٩٩٤م.
32- نقد الشعر : قدامة بن جعفر - تحقيق عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية -بيروت لبنان (د ط) (د ت)
33- نظرية التصوير الفني عند السيد قطب : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، شركة الشهاب الجزائر (د . ط) (د.ت)